

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس التاسع عشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين :-  
-قال المصنف رحمه الله :-

◇ (فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة)

"الشهاب" هي أجزاء منفصلة من النجوم، والأجرام السماوية تحرق الشياطين (فأتبعه شهاب ثاقب) فيرمي الله سبحانه وتعالى الجن والشياطين بهذه الشهب فتحرقهم وهذا الشهاب الذي يصبوب على هؤلاء الجن مسترقي السمع ربما أدركه قبل أن يلقي الكلمة فانقطع السند

وربما تمكن من إلقائها إلى من دونه حتى تبلغ الساحر أو الكاهن هذا محتمل وهذا محتمل واعلموا أن الرمي بالشهب قد كثر قبيل بعثة النبي ﷺ وذلك من إرهابات نبوته فقد كانت الجن تسترق السمع ويصعدون في أجواز الفضاء ويمدون السحرة والكهنة بما يبلغهم بما تتكلم به الملائكة ، والله تعالى قد أقدرهم على هذا وأن يصعدوا في طبقات الجو بهيئة لا نعلمها فلما بعث النبي ﷺ حفظت السماء لكي لا يتطرف إلى الوحي أدنى تدخل قال الله تعالى حاكيا عن الجن ﷻ { وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا } ، { وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا } فحفظت السماء زمن النبوة حفظا للوحي الذي تكفل الله تعالى به فلم يستطيعوا أن يصلوا لما كانوا يصلون إليه،

ولهذا لما شعروا بهذا الأمر فنادوا وقالوا وقع في الأمر شيء فصاروا يبحثون في الأرض حتى وصلت طائفة منهم إلى وادي نخلة حيث كان النبي ﷺ مرجه من ثقيف وإذا بالنبي ﷺ يقرأ القرآن ويصلي فعرفوا السبب وأنزل الله - عز وجل - : { وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين } ، { قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم } فاكشفت الجن أنه قد حصل شيء عظيم وهو بعثة محمد ﷺ فأمن منهم من آمن وكفر منهم من كفر ماذا بعد وفاة النبي ﷺ ؟

هل عادت الجن تسترق السمع أم لا؟ الأمر محتمل وربما عادوا إلى ما كانوا عليه لأنهم عاودوا إمداد الكهنة والسحرة بما كانوا يمدونهم به وقد حصل المقصود من حفظ الوحي فلا مانع أن يرجع الأمر إلى ما كان عليه ، أهل

الجاهلية كانوا إذا رأوا شهابا ثاقبا في السماء قالوا ولد عظيم أو مات عظيم يظنون أن ثم علاقة بين هذا الأمر وبين ولادة عظيم أو موته كما كانوا يظنون أن الخسوف والكسوف والشمس والقمر تنكسفان لموت عظيم أو حياته فنفى النبي ﷺ هذه العلاقة، وتبين أن الأمر كان لحفظ السماء (إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركها فيكذب معها مائة كذبة يعني يكذب الساحر أو الكاهن معها مائة كذبة لكي يكبرها ويضخمها ويجعل لها رواجاً عند الناس فماذا يقع؟

فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا كذا، كذا وكذا؟ يعني هذه الكلمة التي هي كلمة حق خلطها حتى بلغ المجموع مائة كلمة فحين ما يتحدث الناس يستدلون بهذا الحق القليل على إثبات الباطل الكثير فيقول قائلهم أليس يعني الكاهن قد قال لنا كذا وكذا يوم كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء يعني بسبب تلك الكلمة الوحيدة قبل قوله في التسعة والتسعين الباطلة

#### ◆ طيب إذا هذا الحديث يفسر الآية السابقة ومناسبتة لهذا الباب ظاهرة

إذا فيها ما يأسر الملائكة الكرام العظام من التأثير البليغ من جراء سماع كلام الرب سبحانه وتعالى وما يلحقهم من الخضوع والذل والإخبات لله عز وجل ففي هذا دليل على أنه لا يدعى غير الله وأن من دعى الملائكة فمن دونهم في القوة والخلقة فهو مشرك بالله العظيم فهذا وجه إيراد المصنف رحمه الله لهذا الحديث

#### ◆ والحديث يستفاد منه فوائد عدة:

- منها ما أسلفناه والرد على المشركين، وإبطال توسلهم بالأولياء والصالحين
- ويدل على عظم شأن الرب سبحانه وتعالى
- ويدل أيضا على إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى كما تقدم وإثبات صفة العلو لله سبحانه وتعالى
- ويدل أيضا على بطلان السحر، والكهانة، ودمهما وأنهما مبنيان على الكذب في الأعم الأغلب

◆ ثم أردف المصنف رحمه الله حديث أبي هريرة بحديث النواس بن سمعان الكلابي الأنصاري - رضي

الله عنه -

قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أراد الله تعالى أن يوحى بالأمر تكلم بالوحي" وهذا دليل على أن قضاؤه كلام إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون وهذه الجملة الأولى تفسر الجملة الأولى من حديث أبي هريرة لأنه قد قال فيه إذا قضى الله الأمر وهنا بين بأن قضاؤه بكلامه " إذا أراد الله تعالى أن يوحى بالأمر تكلم بالوحي

أخذت السماوات منه رجفة - أو قال رعدة " وهذا دليل على أن السماوات تسمع لأن الله سبحانه وتعالى قد أعطى كل خلق ما يخصهم فلا يقولن قائل أليست السماء سقوف محفوظ مبنية؟ كيف تسمع؟ فيقال ما المانع فإن الله تعالى أودع كل خلق سمع يليق به فلا غرو أن تسمع السماوات ألم يقل الله عز وجل " وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم " فضيق العطن ضيق النظر ضيق الأفق لا يتصورون الكلام إلا بشفتين ولسان وهوات يغيب عنه مثل هذه الأدلة الصريحة حتى الجهادات يثبت النبي ﷺ لها مشاعر وأحاسيس ألم يقل عن أحد جبل يحبنا ونحبه فأثبت له ذلك فلا عجب أن تسمع السماوات ولا عجب أن يلحقها رجفة ورعدة وهذا شك من الراوي والرجفة والرعدة بمعنى متقارب تعني معنى الاضطراب المصحوب بخوف ورعب خوفا من الله عز وجل - شديدة

خوفاً من الله - عز وجل - . فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا " إذا ميز بين السماوات وأهلها أليس كذلك فالسماوات أخذتها رجفة ورعدة فإذا سمع ذلك أهل السماوات وهم الملائكة الكرام صعقوا " أو:

خروا سجداً. فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، " إذا أول خبر يكون وجبريل اسمها مؤخر فمعنى ذلك أن الملائكة الكرام تحر غشياً وجميعهم بما فيهم جبريل إلا إن جبريل عليه السلام لفضله يكون أول من يرفع رأسه وهذا فيه إثبات هذا الوصف لجبريل الرأس

فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بساء سألها ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل. " يعني ماذا يقولون؟ قال الحق وهو العلي الكبير وهذا يفسر لك الضمائر في الآية (حتى إذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق) كأن الحديث يفصل ما في الآية بمعنى أن الملائكة تقول لجبريل ماذا قال ربكم فيقول جبريل قال الحق فتقول الملائكة قال الحق فيصدق ما أخبر الله به قالوا الحق وهو العلي الكبير وقد تقدم بيان ذلك

قال فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله - عز وجل - . " يعني إلى حيث أمر الله عز وجل من سماء أو أرض بما أمره الله تعالى به لأن جبريل عليه السلام هو الموكل بالوحي ولهذا كان أشرف الملائكة وسيد الملائكة فإن سادة

الملائكة ثلاثة جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل وسيادتهم تلك لأنهم موكلون بالحياة، فجبريل موكل بحياة القلوب، وميكائيل موكل بحياة النبات، وإسرافيل موكل بحياة الأبدان وأي هذه الثلاثة أشرف القلوب وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به ما نشاء من عبادنا، وهذا يدلنا أيضا على حمق اليهود فإنهم يعتبرون جبريل عليه السلام عدوهم من الملائكة يعادون جبريل: { من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكايل فإن الله عدو للكافرين } بئس ما اختاروا لأنفسهم، وإنما أبغضوه لأنه هو الذي يحل بهم المثالات وينزل بعقوبة الله عز وجل على من خالف أمره طيب إذا هذا الحديث كسابقه يدل على عظم خوف الملائكة من الله عز وجل وأن من دعى الملائكة فمن دونهم فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج عن الملة ويستفاد منه ما استفيد مما سبقه من الأحاديث .

◆ لنستمع الآن إلى المسائل المرتبة على هذا الباب..

[ قراءة المتن ]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا بما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما نافعا اللهم اغفر لنا ولشيخنا أجمعين قال

فيه مسائل:

- الأولى: تفسير الآية.

[ الشرح ]: نعم وقد تبين تفسير الآية من سورة سبأ

- الثانية: ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصا من تعلق على الصالحين، وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب.

[ الشرح ]: لا شك هذه الحجة البالغة التي أشار إليها المصنف هي أن الملائكة هم أعظم الصالحين خلقا وكبرا وعظما ومع ذلك هذا حالهم مع ربهم فإذا كان هذا حالهم وأنهم يعظمون الله عز وجل ويخضعون له فمن دونهم من باب أولى فلا يجوز التعلق بأحد من الصالحين فضلا عن غير الصالحين

- الثالثة: تفسير قوله: ( قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ) (٥٢).

[ الشرح ]: تفسير قوله وقد تبين بالحديثين بعده أن هذا مما تراجع الملائكة فيما بينها من كلام

-الرابعة: سبب سؤالهم عن ذلك.

[ الشرح ]: أنهم علموا أن جبريل قد أوحى إليه ربه بكلام فيسألون ذلك من باب طلب العلم.

الخامسة: أن جبريل هو الذي يجيبهم بعد ذلك بقوله: (قال كذا وكذا).

[ الشرح ]: وهذا ما أفاده حديث النواس بن سمعان

السادسة: ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل.

[ الشرح ]: هذا أيضاً مصرح به في حديث النواس ويدل على فضيلته الخاصة

السابعة: أنهم يقولوا لأهل السماوات كلهم، لأنهم يسألونه.

[ الشرح ]: إذا هذا مما يجري بين جبريل وأهل السماوات فيخبرهم بأن الله تعالى قال الحق وهو العلي الكبير

الثامنة: أن الغشي يعم أهل السماوات كلهم.

[ الشرح ]: وهذا مصرح به في الحديث

التاسعة: ارتجاف السماوات لكلام الله.

[ الشرح ]: أخذت السماوات رجفة أو رعدة

العاشرة: أن جبريل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله.

[ الشرح ]: لما ختم به حديث النواس بن سمعان حيث ينتهي به إلى ما أمره الله

الحادية عشرة: ذكر استراق الشياطين.

[ الشرح ]: وهذا قد جاء في الحديث الذي قبل حديث أبي هريرة ففيه إثبات استراق الشياطين للسمع

-الثانية عشرة: صفة ركوب بعضهم بعضاً.

[ الشرح ]: نعم كما وصفها سفيان بن عيينة والذي يظهر أن سفيان رحمه الله تلقاها عن من قبله فربما كان من قبيل المسلسل، ولعلكم تعرفون المسلسل في علم الحديث المسلسل هو أن يتواطأ الرواة على لفظة أو حركة يأخذها بعضهم عن بعض إلى منتهاه إلى النبي ﷺ فهذا يسمى تسلسل وقد يكون التسلسل بالقول، وقد يكون بالفعل أما إذا أتى الراوي بلفظ من عنده للبيان فهذا يسمى إدراجا وقد يكون الإدراج في أول الحديث أو وسطه أو آخره وهذا مبسوط في علم مصطلح الحديث

-الثالثة عشرة: إرسال الشهب.

[ الشرح ]: ولذلك لقتل الشيطان لا لما كانت تظنه العرب في الجاهلية أن ذلك لحياة عظيم أو لموته

-الرابعة عشرة: أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وتارة يلقيها في أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه.

[ الشرح ]: إذا كما جاء في حديث أبي هريرة تارة يتمكن من إلقاءها وإيصالها إلى من تحته وتارة يحال بينه وبين ذلك

-الخامسة عشرة: كون الكاهن يصدق بعض الأحيان.

[ الشرح ]: من أين أتاه الصدق؟ من هذه الكلمة التي استرقت من السماء وما يصدق من باب الاتفاق كما يقال

فيغتر به من يغتر ويكون الله عز وجل قد أجرى ذلك ابتلاء، يعني بعض المتقولين والمتهوكين الذين يرمجون بالغيب ربما قالوا قولا فوق بعض ما قالوا فيكون ذلك من باب الابتلاء للناس،

أما المؤمن الذي يؤوي إلى ركن شديد ويعلم أنه لا يعلم من السماوات والأرض إلا الله فلا يخالطه شك أن لا أحد يتمكن من ذلك

ولهذا ينبغي الحذر - معشر الإخوان - مما تشيعه بعض وسائل الإعلام من الترويج لبعض المنجمين ولبعض المواقع فيقال المنجم فلان هكذا ونبوءاته كذا وكذا ونبوءاته صدقت وإلى آخره فإن على أهل الإسلام واليقين أن يعلموا إن كان قد وقع شيء من ذلك فإنها هو بالاستعانة بالشياطين من مسترقي السمع ويخلطها بأضعافها من الكذب، وإما أن يكون قد وقعت اتفاقا فلا يعول عليهم ولا يتعلق بهم في الأخبار بالمغيبات

-السادسة عشرة: كونه يكذب معها مائة كذبة.

[ الشرح ]: هذا قد جاء في الحديث أنه يخلطها بالكذب ليروج باطله

-السابعة عشرة: أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء.

[الشرح]: نعم أنه لم يصدق كذبه إلا لما خلط بتلك الكلمة التي سمعت من السماء، وهذا في الحقيقة يعطينا معنى أعم وأوسع وهو أن يفهم الإنسان قاعدة كلمة حق أريد بها باطل أنه ربما قيل شيء من الحق ومزج بالباطل ليروج فعلى المؤمن البسيط أن يميز الحق فيقر الحق ويرد الباطل ولا يكتف بدمج الحق بالباطل لقبول الباطل كلا عليه أن يميز ما يلقي عليه ويفرز ويفحص ويستتير بنور الله عز وجل فكم من المتحدثين الذين يملؤون الأعمدة الصحفية أو يصنفون الكتب ويقولون حقاً ويقولون فيما يقولون شيء من الحق وذلك لترويج الباطل كما يقال دس السم في العسل فعلى المؤمن أن يكون يقظاً متنبهاً فلا يرد الحق لاختلاطه بالباطل ولا يقبل الباطل لاقرانه بالحق بل يميز ويفصل

-الثامنة عشرة: قبول النفوس للباطل، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بهائة؟!

[الشرح]: نعم يشير الشيخ رحمه الله إلى النفوس المنحرفة كيف أنها تقبل الباطل ويستهوئها مع أن نسبة الحق منه واحد بالمائة فهذا يوجد عند بعض النفوس الضعيفة ذات الأهواء والشبهات تشبث بهذا القليل من الحق لنشر بقية الباطل وهو ملحوظ عند الناس وشواهد كثيرة .

-التاسعة عشرة: كونهم يلقي بعضهم إلى بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها.

[الشرح]: يعني يحتفون بهذه الكلمة لأنها مستندهم التي تمكنوا بها من ترويج باطلهم

-العشرون: إثبات الصفات خلافاً المعطلة.

[الشرح]: فإن الآية والحديثين قد تضمننا إثبات صفات الله عز وجل ومنها صفة العلو لله سبحانه وتعالى الصفة العظيمة علو الذات التي ينكرها الجهمية، والأشاعرة، وغيرهم من نفاة الصفات وكذلك إثبات صفة الكلام التي ينكرها الجهمية، والمعتزلة، ويثبتها الأشاعرة على وجه غير الوجه الذي يثبتها عليه أهل السنة والجماعة فيجعلون كلام الله عز وجل هو المعنى القائم في نفسه، ولا يثبتون الكلام الحقيقي هو الحرف والصوت، والحق أن الله تعالى يتكلم بحرف وصوت بكلام حقيقي وليس مجرد معنى قائم في النفس كما زعموا

-الحادية والعشرون: التصريح بأن تلك الرجفة والغشي كانا خوفاً من الله - عز وجل - .

[ الشرح ]: نعم قد جاء ذلك صريحا خوفا من الله عز وجل الله أكبر .

-الثانية والعشرون: أنهم يخرون لله سجداً.

[ الشرح ]: كما في الحديث أنهم يخرون والخرور هو الهوي من أعلى إلى أسفل

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ..